

الثورة الفلسطينية ويتجنب الخوض في المشكلات المتعلقة بقوى الثورة ذاتها ، إلا أن التركيز حول هذا الموضوع غير ممكن على الإطلاق دون ربط المسألة بإطارها العربي الوثيق من جهة وكذلك بإطارها الدولي من جهة أخرى ، وليس بالإمكان فصل القضية عن هذين البعدين وذلك لأسباب كثيرة أبرزها المصير المشترك بين الثورة العربية والثورة الفلسطينية من جهة والتلاحم العضوي بين الصهيونية والابريالية العالمية من جهة أخرى . وكذلك يبدو أنه لا مندوحة لنا عن ربط الحاضر بالماضي على أن تجري الإشارة إلى الإطار العام بالقدر الذي يساعد على إيضاح جوانب الحاضر وإضاءة الزوايا المهمة التي ستكون بنية المستقبل .

٢ - محاولة لفهم ساحة الثورة الفلسطينية

إن الثورة الفلسطينية تمثل حالة فريدة بين الحالات الثورية وساحتها بالضبط — ولنقل مجالها المغناطيسي — ليست من صنعها وحدها ولا هي من صنع الديالكتيك الطبيعي الذي يقوم بين الخصم والخصم وينتج عنه تركيب معين يكون لكل من الطرفين نصيب واضح في تحديده . إن العوامل المتضاربة العربية والدولية والصهيونية التي تدخل في صنع « التركيب » المسمى بساحة الثورة الفلسطينية تجعل دور الثورة الفلسطينية في تحديد طبيعة ساحتها دورا غير مؤكد وغير مطرد التأثير ومن هنا يبيح هذا البحث لنفسه أن يتحدث عن ثورة من جهة وعن ساحة من جهة أخرى دون أن يسمح بالفصل المصطنع بين الجهتين .

وبعد أن وضعنا الاعتبارات السابقة في الذهن يمكن أن نتساءل : ما معنى ساحة الثورة الفلسطينية وما حدودها وكيف تبدو في هذه الأيام وما هي المؤثرات التي تحملها سلبا أو إيجابا بالنسبة للأهداف القومية العربية ؟

لنحاول الاعتماد هنا على نوع من التحديد الجغرافي ، فهو يبدو يادىء ذي بدء غاية في السهولة وربما ضربا من المسلمات . ساحة الثورة الفلسطينية هي بالضبط فلسطين بحدودها المعروفة أيام الانتداب (من البحر الأبيض غربا إلى نهر الأردن شرقا) . ولكن ما أن نضع هذا التحديد حتى نتساءل : ولكن أين الفلسطينيون وهل يستطيعون إثبات وجودهم في هذه الساحة إذا تبيننا مثل هذا التحديد ؟ إن نصف الفلسطينيين يعيشون خارج وطنهم ولذا ينبغي أن تكون الساحة أوسع من ذلك . ولكن هذا العامل ليس هو العامل الوحيد الذي يقتضي توسيع مفهومنا لساحة الثورة ، فهناك عامل آخر لا يقل عنه أهمية من الناحية العملية وهو واقع الاحتلال الصهيوني الذي تجاوز أرض فلسطين واقتطع أجزاء من دول عربية مجاورة ولا بد أن تكون هذه الدول بطبيعة الحال ساحة مباشرة للتحرك ضد العدو . وإذا لنقل أن الساحة المباشرة للثورة تشمل أرض فلسطين كلها بالإضافة إلى أراضي الدول العربية المحيطة بفلسطين ، وكلها بالفعل تعرضت لخسارة أجزاء بسيطة أو كبيرة من أراضيها حتى الآن وكلها تعيش حالة من التوجس والقلق وتخشى فقدان أجزاء أخرى من أراضيها .

على أن هذا التحديد للساحة المباشرة يبدو عاجزا عن تغطية العامل الأول وهو التثمتت الفلسطيني الذي لا يقف عند حد الدول العربية المحيطة بإسرائيل بل يمتد شرقا وغربا حتى يتجاوز حدود الوطن العربي إلى أقطار أخرى كثيرة من العالم . كذلك يبدو هذا التحديد عاجزا عن تغطية العامل القومي العربي الذي يقوم على فهم أوسع للصراع العربي الإسرائيلي ويتضمن فيما يتضمن وجوب اشتراك الوطن العربي كله في المعركة المصرية ضد العدو الصهيوني الذي تتناول مطامحه التوسعية المنطقة العربية بأسرها . وإذا لكي نراعي هذه العوامل كلها لنقل أن ساحة الثورة الفلسطينية يمكن أن تفهم عمليا ضمن ثلاثة خطوط :